

1 المجال الفرعي الثاني : نظريات التعلم

مدخل:

إن فهم نظريات التعلم و القدرة على تطبيقها في مجال التدريس؛ هي من المتطلبات الأولية للتدريس الفعال ، و قد قام عدد كبير من الباحثين بدراسة النمو العقلي و طبيعة التعلم بطرق مختلفة، و نتج عن ذلك نظريات متنوعة للتعلم. و يمكن اعتبار نظريات التعلم طريقة و أسلوب لتنظيم و دراسة بعض المتغيرات في التعلم و النمو العقلي، فالفهم الصحيح لنظريات التعلم هو الذي يمكن المدرس من اختيار استراتيجيات التدريس المناسبة و الأكثر فعالية في كل موقف تعليمي على حدة.

و تصنف نظريات التعلم حسب الجانب الذي تركز النظرية عليه؛ فإما أن تركز على الجانب المعرفي و البنية المعرفية أو تركز على السياق الاجتماعي

فما المقصود إذا بنظريات التعلم ؟ و ما هي أهم تلك النظريات و أسسها ؟ و ما هي أهم تجلياتها في الميدان التربوي ؟

النظرية هي عبارة عن مجموعة من البناءات و الافتراضات المترابطة التي توضح العلاقات القائمة بين عددٍ من المتغيرات و تهدف إلى تفسير ظاهرة و التنبؤ بها. و نظريات التعلم هي مجموعة من النظريات التي تم وضعها في بدايات القرن العشرين الميلادي و بقي العمل على تطويرها حتى وقتنا الراهن و أول المدارس الفلسفية التي اهتمت بنظريات التعلم و التعليم كانت المدرسة السلوكية رغم أن بواذر نظريات مشابهة بُدئ العمل بها في المرحلة ما قبل السلوكية. و يمكن إجمالاً تلمس النقاط المشتركة التالية التي تؤلف بين مختلف النظريات التي تفسر لنا الطريقة التي يتعلم بها الإنسان ، الطفل الشاب، الكهل ... بكونها:

- الطريقة التي يستدخل بها المعارف و يستدمجها ضمن بنيته الذهنية و الوجدانية،
- الطريقة التي يعالج بها ما استدخله مثلاً من معارف و مهارات...
- الطريقة و الأسلوب الذي يُفسر به تعلم الناس.
- إذا فالأسئلة التي تحاول مختلف النظريات الإجابة عنها تتمثل في:

هل نتعلم من خلال المثير و الاستجابة؟ أو نتعلم بالمنطق الكلي (من الكل إلى مجموعة الأجزاء) ؟ أو نتعلم من خلال بناء المعرفة و التكيف معها (التوازن) وفقاً للمرحلة العمرية و الخصائص النمائية؟ أو نتعلم من خلال الاندماج الاجتماعي والعلاقات التي تربط بالمعلم بالمتعلم ؟

إجمالاً، هناك تفسيرات متعددة للطريقة التي يتلقى و يستوعب و يفهم و يتعلم بها الإنسان (الطفل)، و هي طرائق و نظريات - و إن تناقضت في بعض التفاصيل - تبقى متكاملة يكمل بعضها البعض.

سننظر، بنوع من التركيز إلى أهم نظريات التعلم، و خصوصاً منها المدرسة السلوكية، و المدرسة الجشطالتيّة، و المدرسة البنائية، و المدرسة السوسيو بنائية ...

أولا - نظرية التعلم السلوكية:

ظهرت المدرسة السلوكية في الولايات المتحدة الأمريكية، و جاءت كرد على نظريات علم النفس السابقة التي كانت تعتمد على الدراسات و التفسيرات العقلية البحتة التي تفسر السلوك (الغرائز - الشعور - الإرادة - التفكير...). و تتمركز هذه النظرية حول مفهوم السلوك من خلال علاقته بعلم النفس، و تعتمد أساسا على منهج القياس التجريبي، و ترفض منهج الاستبطان الذي يقوم على تأمل دواخل الفرد و ما يدور في باطنه، لأن ذلك تجريدي و غير قابل للملاحظة و القياس. و قد اعتمدت المدرسة السلوكية منهج التجريب، و استخدمت الحيوان في إجراء التجارب من أجل فهم السلوك الإنساني.

كانت بدايات الاتجاه السلوكي على يد العالم (جون واطسون) عام 1913م، و هو عالم نفس أمريكي تأثر بأعمال العالم الروسي بافلوف تأثرا عظيما، و انتهى به الأمر إلى اعتبار السلوكية هي علم النفس الوحيد و أقر بأنها تقف على قدم المساواة مع علوم الحيوان و الفسيولوجيا و الكيمياء ، و تعتبر السلوكية من وجهة نظر بافلوف دراسة الأفعال السلوكية بصورة مباشرة .

ثم جاء سكر الذي ولد عام 1904م في إحدى مدن بنسلفانيا الأمريكية، حيث اهتم بدراسة كتابات واطسون و بافلوف حول سلوك الإنسان و الحيوان، ثم التحق ببرنامج الدراسات العليا في علم النفس في جامعة هارفارد و بدأ تجاربه على الفئران و أصدر خلاصات أبحاثه في كتاب بعنوان سلوك الكائنات الحية عام 1938م. ثم انتقل إلى جامعة مينوسوتا لمواصلة أبحاثه على الحيوانات. و قد عرّف سلوك الاستجابة بأنه تجاوب أو رد فعل من الكائن للبيئة، كما عرف السلوك الفاعل بأنه ما يقوم فيه الكائن بالتأثير في البيئة و الفعل فيها .

ثم ظهر تصور ثورنडाيك للتعلم بالتأثير (قانون الأثر) و الذي يعتقد أن تأثير التعزيز هو تقوية الرابطة بين المنبه و الاستجابة. و من ثمة ظهرت مفاهيم مثل المعزز و التعزيز و تشكيل السلوك و إطفاء السلوك.

يعتبر أصحاب الاتجاه السلوكي أن السلوك متعلم من البيئة و من أشهر رواده كما أسلفنا: بافلوف، سكر ، باندورا، واطسون، ثورنडाيك و جاثري...

1- طبيعة و مفاهيم النظرية السلوكية :

تهل المدرسة السلوكية من مجموعة من المفاهيم التي يمكن إجمالها فيما يلي:

+ التعلم: هو عملية تغير شبه دائم في سلوك الفرد.

+ السلوك: مجموعة استجابات ناتجة عن مثيرات المحيط الخارجي القريب، و هو إما أن يتم دعمه و تعزيره فيتقوى حدوثه في المستقبل أو لا يتلقى دعما فيقل احتمال حدوثه في المستقبل.

+ المثير و الاستجابة: تغير السلوك هو نتيجة و استجابة لمثير خارجي.

+ التعزيز و العقاب: من خلال تجارب إدوارد لي ثورنडाيك يبدو أن تلقي التحسينات و المكافآت بصفة عامة يدعم السلوك و يثبتته، في حين أن العقاب ينقص من الاستجابة و بالتالي من تدعيم و تثبيت السلوك.

2. بعض المبادئ في النظرية السلوكية:

من بين العناصر الأساسية التي تقوم عليها النظرية السلوكية نذكر:

- السلوك في الغالب متعلم : أي أن السلوك الإنساني في معظم أنماطه يمكن تعلمه ، الإيجابي منه أو السلبي على حد سواء ، و بهذا فمن الممكن إكساب المتعلم السلوك الإيجابي ، و تعديل السلوك السلبي لديه أو إلغاؤه و استبداله بسلوك إيجابي .
- الدافعية: هي المسؤولية عن تحرير مخزون الطاقة لدى المتعلم بتوجيه سلوكه ليشبع حاجاته ، و طالما أن السلوك متعلم فلا يحدث التعلم بدون دافعية .

- المثير و الاستجابة : كل سلوك للمتعلم عبارة عن ردة فعل أو استجابة لمثير قد تعرض له ، و ذلك على النحو التالي:

استجابة سلبية

مثير = سلوك إيجابي بناء

مبنية على الانسجام

استجابة غير سلبية

مثير = سلوك سلبي

عدم انسجام مع المثير

- التعزيز و الممارسة : إن تعزيز الاستجابة الإيجابية للمثير، أي السلوك الإيجابي يقوي هذا السلوك و يثبتته و هذا يؤدي إلى تطبيقه و ممارسته في المستقبل عند مواجهة مثير مشابه.

3. المسلمات الأساسية التي تستند إليها النظرية السلوكية:

- 1- إن السلوك الإنساني يخضع لعدد من المتغيرات أو المؤثرات الداخلية (أي بالفرد نفسه) أو الخارجية في البيئة المحيطة بالإنسان.
 - 2- إن السلوك الذي يتم تعزيزه يكون أكثر قابلية للتكرار من السلوك الذي لا يتم تعزيزه.
 - 3- إن السلوك الإنساني إجرائيا قابل للملاحظة و القياس و التقويم ضمن معايير محددة.
 - 4- إن السلوك الإنساني سواء الإيجابي أو السلبي منه متعلم أي مكتسب من عملية التعلم و التعليم و يمكن تعديل السلوك غير السوي من خلال تطبيقات النظرية السلوكية.
 - 5- إن السلوك لدى فرد أو مجموعة أفراد ليس بالضرورة ناتجا عن نفس العوامل و المؤثرات ، و قد لا يؤدي نفس المؤثر بالضرورة إلى نفس الاستجابة عند الأفراد المختلفين و لا يؤدي نفس الاستجابات عند نفس الفرد تحت ظروف مختلفة.
- و تعتبر تكتيكات التدخل في هذا الاتجاه سلسلة التطبيق في الصف ، حيث إن معظمها يتطلب من المدرس إعادة تنظيم البيئة أو مراقبة السلوك و أهم هذه التكتيكات ، هي:

أولاً، التدخل البيئي عن طريق:

- أ- إزالة المثيرات المشتتة
- ب- تزويد المتعلم بمثيرات مناسبة للسلوك
- ت- إبعاد المتعلم عن الموقف غير المناسب
- ث- تزويد المتعلم بنموذج لسلوك مناسب

ثانياً، ضبط توابع السلوك عن طريق:

- تعزيز السلوك المناسب بإجراءات التعزيز المختلفة أو التغذية الراجعة.
- إطفاء السلوك غير المناسب عن طريق إيقاف التعزيز.
- إطفاء السلوك غير المناسب عن طريق العقاب.
- استخدام الفرص المناسبة للانخراط في نشاط محبب كمكافأة للطفل على سلوك غير مفضل.
- وضع هدف و مراقبة التقدم للوصول إليه.

ثالثاً، الضبط الذاتي عن طريق:

تدريب المتعلم على أن يضع أهدافاً وأن يتعامل مع المثيرات في بيئته الخاصة وصولاً إلى تحقيق السلوك المرغوب فيه مستخدماً الاتجاه السلوكي في التعامل مع الأفراد بشكل رئيس.

فالتعلم إذا من وجهة نظر المدرسة السلوكية هو عملية يتعرض فيها المتعلم إلى معلومات أو مهارات، و يتغير سلوكه أو يتعدل بتأثير ما تعرض له، و هذا التغيير ثابت نسبياً لأن التعلم الآلي لا يشكل تعالماً، و لأن عملية التغيير التي حدثت هي عملية لتحقيق هدف لحظي و بتحقيقه تنتهي دواعي استعماله أو تكراره أو تعديله أو تحسينه.

و يركز الاتجاه السلوكي على ثلاثة أنواع رئيسة من التعلم، هي:

- 1 - التعلم الشرطي: يحدث التعلم نتيجة لمثير قبلي غير شرطي طبيعي، و عند تكرار اقتران المثير غير الشرطي مع مثير محايد يصبح للمثير المحايد نفس قوة المثير غير الشرطي و يولد نفس الاستجابة التي يولدها المثير غير الشرطي.
- 2 - التعلم الإجرائي: حيث أشار سكينر إلى أن السلوك الإجرائي سلوك إرادي تزداد احتمالية حدوثه في المستقبل إذا اتبع بنتائج سارة.
- 3 - التعلم بالملاحظة: يتعلم الفرد الاستجابات الجديدة في المواقف الاجتماعية من خلال ملاحظة سلوك النموذج. و بذلك ينظر هذا الاتجاه إلى الإنسان على أنه عضوية بيولوجية يجب أن تتفاعل مع البيئة لأجل البقاء، كما أن التفاعل ليس عشوائياً، و لكنه منظم و يتبع قوانين محددة.

4. التطبيقات التربوية للنظرية السلوكية:

الشروط الأساسية اللازمة لحدوث التعلم هي:

أولاً، الدافع للتعلم : إن وجود دافع عند المتعلم شيء أساسي في عملية التعلم و لا تتم بدونه و أفضل المواقف التعليمية هي التي تعمل على تكوين مثل هذه الدوافع عند الأفراد.

ثانياً، مراعاة عامل النضج في التعلم المدرسي.

ثالثاً، الممارسة و التعلم المدرسي:

- تحديد التلميحات التي يتوقع من خلالها استدعاء الاستجابات المرغوبة.

- تنظيم الممارسات العملية والخبرات لظهور المثيرات و الاستجابات واستدعاء الاستجابات المناسبة في المواقف التعليمية الواقعية.

- تنظيم الظروف البيئية المناسبة للمتعلمين للحصول على استجابات صحيحة في حالة غياب مثيرات محددة تشكل هدفاً للتعلم، و تقديم التعزيزات المناسبة لتلك الاستجابات التي حدثت في مواقف التعلم.

- تجزئة المهام التعليمية إلى جزئيات صغيرة تضمن قدرة المتعلم على أدائها بحيث يحقق الاستجابة الصحيحة نسبة عالية من أفراد المجموعة المشتركة في المواقف التعليمية أو التدريبية.

- التأكيد على ضرورة تقديم التعزيز للمتعلمين في الموقف الذي يستجيبون فيه استجابة صحيحة.

- تحديد الوقت المناسب لتقديم التعزيز لكل فرد في المجموعة المستهدفة لتضمن حصول كل فرد على التعزيز الذي يناسبه .

- تحديد الوقت الذي يحتاجه كل متعلم للتأكد من نجاحه في أداء المهمة ضمن الموقف التعليمي الذي يواجهه.



ثانيا . نظرية التعلم الجشطالتيّة:

ظهرت المدرسة الجشطالتيّة على يد كل من فرتايمر Wertheimer و كوفكا Kofka و كوهلر Kohler المنتمين جميعهم إلى ما يسمى بمدرسة برلين، و تعتبر من المدارس التي اهتمت بدراسة علم النفس، و يعود الفضل لها في الاهتمام بدراسة قوانين الإدراك، و توصلت إلى قانونه الأساسي و هو أن "الكل أكبر من مجموع أجزائه" فأنت حين تقرأ كلمتي (باب)،(أب) و هما مؤلفتان من نفس الحروف فإنك لا تدركهما كحروف منفصلة و إنما كوحدات كلية.

ظهرت هذه النظرية كرد فعل و رفض للمفاهيم و النظريات السلوكية.. و بخاصة مفهوم العناصر و تحليل السلوك إلى عناصره أو أجزائه الأولى المكونة له. فنادت بضرورة دراسة السلوك ككل لأن دراسته كأجزاء لا يحقق الهدف المرجو من دراسته لأن طريقة الدراسة غير ملائمة و مضللة ...

1- أهم مفاهيم الجشطالتيّة :

جاءت هذه النظرية بعدد من المفاهيم و المصطلحات، منها:

- + الجشطلت: هو أصل التسمية لهذه المدرسة، و تشير هذه الكلمة الألمانية الأصل إلى معانٍ مختلفة في اللغة العربية فهي تعني الكل المترابط الأجزاء باتساق و انتظام، بحيث تكون الأجزاء المكونة له في ترابط دينامي فيما بينها من جهة، و مع الكل ذاته من جهة أخرى. فكل عنصر أو جزء من الجشطلت له مكانته و دوره و وظيفته التي تتطلبها طبيعة الكل .
- + البنية: تتكون من العناصر المرتبطة بقوانين داخلية تحكمها ديناميا و وظيفيا، بحيث إن كل تغيير في عنصر يؤدي إلى تغيير البنية ككل و على أشكال اشتغالها و تظاهراتها.
- + الاستبصار: هو الوصول إلى الحل ، و بطريقة سريعة و حاسمة أو إدراك العلاقات الموجودة في الموقف المشكل و الوصول إلى الحل أو الحلول المناسبة دفعة واحدة .
- + التوازن أو الاتساق المعرفي : يرتبط هذا المفهوم بتحقيق الفهم الكامل و إيجاد نوع من الانسجام بين الخبرات السابقة لدى الفرد و ما يراد اكتسابه من خبرات جديدة من ناحية، و استبصار الموقف المشكل و الوصول إلى حل له و من ثم استعادة التوازن المعرفي من ناحية أخرى.
- + إعادة التنظيم الإدراكي: المقصود به إعادة تنظيم المتغيرات الحسية أو البيئية أو محددات أو معطيات الموقف المشكل بصورة تكتسب معها هذه المتغيرات أو المعطيات معاني أو علاقات جديدة.
- + مفهوم الانتقال: لا يمكن التحقق من التعلم إلا عند ما يتم تعميمه على موافق مشابهة في البنية الأصلية، و مختلفة في أشكال التظاهر، حيث إن الاستبصار الحقيقي هو الذي ينتقل إلى المجالات المرتبطة و الملائمة.
- + مفهوم الدافعية الأصلية: تعزيز التعلم يعني أن يكون دافعا داخليا نابعا من الذات نفسها.
- + الفهم و المعنى: تحقيق التعلم يقتضي الفهم العميق للعناصر و الخصائص المشكلة لموضوع التعلم، و بالتالي الكشف عن المعنى الذي تنظم فيه هذه المحددات، حيث الفهم هو كشف استبصاري لمعنى الجشطالت.

2. المبادئ التي تقوم عليها نظرية الجشتالت:

لقد أقام علماء مدرسة الجشتالت نظريتهم على الفروض التالية:

- (1) عند مواجهة الكائن الحي مشكلة معينة فإنه يصبح في حالة من عدم التوازن المعرفي فيعمل على حل تلك المشكلة لاستعادة التوازن.
- (2) يعتمد نجاح الكائن الحي في حله للمشكلات التي تواجهه على الكيفية التي يدرك بها محددات أو خصائص الموقف المشكل أي حدوث عملية الاستبصار.
- (3) تحدث عملية الاستبصار من خلال الإدراك المفاجئ للعلاقات بين الوسائل والغايات وإعادة التنظيم الإدراكي لمحددات الموقف المشكل.
- (4) يحدث التعليم عن طريق الاستبصار.
- (5) التعلم القائم على الاستبصار أكثر قابلية للتعميم وأقل قابلية للنسيان.
- (6) يعتمد التعلم عند الجشتالت على دافع أصيل لدى الكائن الحي هو استعادة التوازن المعرفي.

3. التطبيقات التربوية للنظرية الجشتالت:

لقد ساهمت نظرية التعلم الجشطلتية في تغيير وتطوير السياسات التعليمية و التربوية في عدة دول، وذلك في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي ، بحيث استفاد الديدانكيك من تلك النظرية ، فأصبح التعليم يبدأ من تقديم الموضوع شموليا، فجزئيا وفق مسطرة الانتقال من الكل إلى الجزء، دون الإخلال بالبنية الداخلية، وفي نفس الوقت تحقيق الاستبصار على كل جزء على حدة.

و هكذا فنظرية الجشطلت ساهمت إلى حد كبير في صياغة السيكولوجيا المعرفية، وبالخصوص سيكولوجيا حل المشكلات.. ولعل المثال الأبرز على مدى استفادة البيداغوجيا من النظرية الجشطلتية يتجسد فيما يدعى بالطريقة الكلية في تدريس اللغة methode globale ، وهي الطريقة التي ابتدعها البيداغوجي البلجيكي أوفيد ديكرولي O.Decroly. فبالاعتماد على قوانين الإدراك كما وردت في النظرية الجشطلتية تمكن هذا الباحث من تصميم طريقة في التدريس جعل منها بديلا تعليميا للطريقة التجزئية التي اعتادت المدرسة أن تقدم بواسطتها دروس القراءة والكتابة، ونعت التجزئية يعني هنا أن تدريس اللغة ينطلق من البسيط إلى المركب، من الجزئي إلى العام. وبعبارة أكثر وضوحا ينتقل من الحرف ثم الكلمة، ثم الجملة، فالنص. والواقع أن هذه الطريقة التجزئية تنطوي على كثير من العيوب وفق ما يلاحظه ديكرولي، فهي تمكن المتعلم فعلا من معرفة الحرف أو الكلمة، ولكنه لا يعرف كيف تتركب في السياق، بل وأحيانا لا يدرك العلاقات متعددة الأوجه التي يمكن أن توظف بها كلمة أو جملة ما.... وكبدل عن الطريقة التجزئية يقترح ديكرولي ما يسمى بالطريقة الكلية Globale ، وهي طريقة تمكن المتعلم من الانطلاق من الكل إلى الجزء، أي من تعليم الكلمة إلى الحروف، ومن المعلوم إلى المجهول، فهي تستغل خبرات الطفل عن الأشياء المحيطة به، فيندفع إلى التعلم متشوقا لأنه يتخذ المعنى مطية لإدراك المبنى. فالحرف، حسب الطريقة الكلية ، يقدم في سياق الكلمة، والكلمة في سياق الجملة حيث يتخذ معناها ألوانا متعددة، والجملة في سياق النص لأن هذا الأخير هو الذي يعطيها مكانا أو وظيفة خاصة. وبذلك يتمكن المتعلم من اللغة تمكنا يمكنه من إدراك بنيتها وظائفها المتنوعة.

ثالثا - نظرية التعلم البنائية:

تعتبر نظرية التعلم البنائية (أو التكوينية) من أهم النظريات التي أحدثت ثورة عميقة في الأدبيات التربوية الحديثة خصوصا مع جان بياجيه، الذي حاول انطلاقا من دراساته المتميزة في علم النفس الطفل النمائي أن يمدنا بعدة مبادئ و مفاهيم معرفية علمية و حديثة طورت الممارسة التربوية.

ترى البنائية بأن التعلم الحقيقي لا يتم بناء على ما سمعه المتعلم حتى و لو حفظه و كره .. بل إن الشخص يبني معلوماته داخليا متأثرا بالبيئة المحيطة به و المجتمع ، و أن لكل متعلم طريقة و خصوصية في فهم المعلومة و ليس بالضرورة أن تكون كما يريد الآخرون ... و تعبر البنائية في أبسط صورها و أوضح مدلولاتها عن أن " المعرفة تُبنى بصورة نشطة على يد المتعلم ولا يستقبلها بصورة سلبية من البيئة".

من أبرز منظري البنائية نذكر: جان بياجيه ، جون ديوي ، فايجو تسكي ، ارنست فون جلاسر فيلد ...

1- المفاهيم المركزية لنظرية التعلم البنائية:

- + مفهوم التكيف: هنا يعتبر غاية التطور النمائي، و هو أيضا عملية الموازنة بين المحيط و الجهاز العضوي الذي يهدف للقضاء على حالات الاضطراب و اللانظام، بمعنى الانسجام و التأقلم بين أفراد الجماعات.
- + مفهوم الاستيعاب و التلاؤم: هو مفهوم أخذه بياجيه من البيولوجيا، فالاستيعاب هو أن تتم عملية دمج المعارف و المهارات ضمن النسيج المعرفي حتى تصبح عادة مألوفة. و التلاؤم هو عملية التغير و التبنى الهادفة للحصول على التطابق بين المواقف الذاتية و مواقف الوسط و البيئة.
- + مفهوم الموازنة و الضبط الذاتي: الضبط الذاتي هو نشاط الذات باتجاه تجاوز الاضطراب و التوازن هو غاية اتساقه.
- + مفهوم السيرورات الاجرائية: إن كل درجات التطور و التجريد في المعرفة و كل أشكال التكيف، تنمو في تلازم جدي، و تتأسس كلها على قاعدة العمليات الإجرائية أي الأنشطة العملية الملموسة.
- + مفهوم التمثل و الوظيفة الرمزية: التمثل، عند بياجيه، ما هو سوى الخريطة المعرفية التي يبنها الفكر عن عالم الناس و الأشياء و ذلك بواسطة الوظيفة الترميزية، كاللغة و التقليد المميز و اللعب الرمزي ... و الرمز يتحدد برابط التشابه بين الدال و المدلول؛ و التمثل هو إعادة بناء الموضوع في الفكر بعد أن يكون غائبا.
- + مفهوم خطاطات الفعل: الخطاطة هي نموذج سلوكي منظم يمكن استعماله استعمالا قصديا، و تتناسق الخطاطة مع خطاطات أخرى لتشكل أجزاء للفعل، ثم أنساقا جزيئة لسلوك معقد يسمى خطاطة كلية. و إن خطاطات الفعل تشكل، كتعلم أولي، ذكاء عمليا هاما، و هو منطلق الفعل العملي الذي يحكم الطور الحسي - الحركي من النمو الذهني.

2- مبادئ التعلم في النظرية البنائية:

- التعلم من منظور البنائية هو "عملية بناء إبداعية مستمرة يعيد خلالها الفرد تنظيم ما يمر به من خبرات بحيث يسعى لفهم أوسع و أشمل من ذلك الفهم الذي توحى به الخبرات السابقة".
- 1- المتعلم لا يستقبل المعرفة و يتلقاها بشكل سلبي لكنه يبنها من خلال نشاطه و مشاركته الفعالة في عمليتي التعليم و التعلم.
- 2- يحضر المتعلم فهمه المسبق إلى مواقف التعلم و يؤثر هذا الفهم في تعلمه للمعرفة الجديدة.

- 3- إن معرفة الفرد دالة لخبرته.
- 4- يبني المتعلم معنى ما يتعلمه بنفسه بناء ذاتياً، حيث يتشكل المعنى داخل بنيته المعرفية بناء على رؤية خاصة به، فالأفكار ليست ذات معان ثابتة لدى الأفراد.
- 5- المعرفة ليست موجودة بشكل مستقل عن المتعلم، فهي من ابتكاره هو و تمكن في عقله، و من ثم فهي تصبح أساس نظريته إلى العالم من حوله و على أساسها يفسر ظواهر هذا العالم و أحداثه.
- 6- المعرفة "عملية" و ليست "نتيجة".
- 7- التعلم لا ينفصل عن التطور النمائي للعلاقة بين الذات والموضوع .
- 8- الخطأ شرط التعلم : إذ أن الخطأ هو فرصة و موقف من خلال تجاوزه يتم بناء المعرفة التي نعتبرها صحيحة.
- 9- الفهم شرط ضروري للتعلم.
- 10- التعلم يقترن بالتجربة و ليس بالتلقين .
- 11- التعلم تجاوز و نفي للاضطراب.

3. التطبيقات التربوية للبنائية:

حسب بياجي:

- التعلم هو شكل من أشكال التكيف من حيث هو توازن بين استيعاب الوقائع ضمن نشاط الذات و تلاؤم خطاطات الاستيعاب مع الوقائع و المعطيات التجريبية باستمرار.
 - التعلم هو سيرورة استيعاب الوقائع ذهنياً و التلاؤم معها في نفس الوقت.
 - مادام الذكاء العملي الإجرائي يسبق عند الطفل الذكاء النظري، فإنه لا يمكن بيداغوجيا بناء المفاهيم و العلاقات و التصورات و المعلومات و منطق القضايا إلا بعد تقعيد هذه البناءات على أسس الذكاء الإجرائي.
 - وعليه، و حسب بياجي، يجب تبني الضوابط التالية في عملنا التربوي و التعليمي:
 - * دفع المتعلم إلى تكوين المفاهيم ضبط العلاقات بين الظواهر بدل استقبالها عن طريق التلقين ؛
 - * جعل المتعلم يكتسب السيرورات الإجرائية للمواضيع قبل بنائها رمزياً؛
 - * جعل المتعلم يضبط بالمحسوس الأجسام و العلاقات الرياضية، ثم الانتقال به إلى تجريدتها عن طريق الاستدلال الاستنباطي؛
 - * يجب تنمية السيرورات الاستدلالية الفرضية الاستنباطية الرياضية بشكل يوازي تطور المراحل النائية لسنوات التمدريس؛
 - * إكساب المتعلم مناهج و طرائق التعامل مع المشكلات و اتجاه المعرفة الاستكشافية عوض الاستظهار؛
 - * تدريب المتعلم على التعامل مع الخطأ كخطوة في اتجاه المعرفة الصحيحة؛
 - * إكساب المتعلم الاقتناع بأهمية التكوين الذاتي.
- فالمطلوب إذا من المدرس حسب النظرية البنائية أن يركز على تهيئة بيئة التعلم و مساعدة المتعلم في الوصول لمصادر التعلم...

رابعاً - نظرية التعلم السوسيوبنائية:

تعتبر سوسيو بنائية فيكوتسكي من أهم الأسس النظرية التي قامت عليها المقاربة بالكفايات التي اعتمدها المغرب في بناء المناهج و البرامج التعليمية الحالية، و هي تصنف ضمن نظريات التعلم المعرفية التي تعطي الأولوية للعمليات التي تجري داخل الإنسان كالتفكير و اتخاذ القرار و حل المشاكل إلى جانب كل من من النظرية الجشتلتية و النظرية البنائية. كما أنها تعتبر فرعاً من البنائية، تتفق معها في تأكيدها على أن المتعلم هو صانع المعرفة و باني التعلم، و تختلف معها في كونها تولي أهمية أكبر لدور تفاعل المتعلم مع أقرانه و مدرسيه في تسريع عملية النمو المعرفي. إن الفرد المنعزل لا يمكنه الحصول على المعرفة مادامت البنيات المعرفية في الأصل عمليات اجتماعية و التي تتحول إلى عمليات سيكولوجية ذاتية و شخصية من خلال الفعل و المشاركة في نشاط الجماعة . و هي محدثها عن دور المجتمع و الراشد في عملية التعلم تكون قد شكلت تجاوزاً و تطويراً للنظرية البنائية البياجوية.

1- المفاهيم المركزية للسوسيوبنائية:

- + مفهوم النشاط: يمثل السياق الاجتماعي الذي يحقق فيه الطفل تفاعله مع الراشد، إنه المجال الذي تشكله و تعمده مختلف الأنماط الثقافية و الاجتماعية لمجتمع ما ، و يعمل الطفل على استبطان مقولاته لبناني و وظائفه العقلية و يحقق بالتالي البناء المعرفي.
- + مفهوم التعلم: لحظة مكونة و منشطة للنمو، و تتحقق عبر تنشيط السيرورات و الوظائف الداخلية للطفل و التي لا تكون سهلة المنال إلا في سياق تواصله مع الراشدين و الأقران حين يتدخل الراشد تنطلق شرارة التعلم الذي يعجز المتعلم عن إطلاقه بمفرده.
- + التعلم لا يحققه الذات بمفردها و لا يوجد داخلها، بل إن المعارف و المهارات و القدرات و الخبرات موجودة في المحيط الخارجي.
- + مفهوم منطقة النمو القريب : الفارق بين مستوى معالجة و صعوبة تحت إشراف المدرس، و بين مستوى المعالجة الذي يحققه التلميذ بمفرده.
- + مفهوم الإنسان : كائن نشيط يشارك بفعالية في خلق مقومات وجوده و تقرير مصيره و يساهم في تحقيق نموه الذاتي ، يتمتع بالقدرة على اكتساب الوسائل التي يستعملها في كل مرحلة من مراحل النامية للتأثير في الذات و في العالم الخارجي.

2- العوامل المسؤولة عن حدوث التعلم في السوسيوبنائية:

أ - دور التفاعل الاجتماعي:

- الطفل يتعلم و يكتسب المعارف و يبني المهارات من خلال تفاعله مع الآخرين ؛ فهو عندما يساهم في نشاط معين و يحصل بينه و بين الراشد تواصل و احتكاك في سياق الأنشطة الثقافية و الاجتماعية، تشتغل البنيات العقلية فتشرع في استبطان و استدخال مقولات العالم الخارجي، و في هذه اللحظة تتشكل الوظائف الذهنية العليا تدريجياً...
- ب - دور النشاط:

في سياق النشاط يحصل الاحتكاك، و ينخرط الطفل في حرارة التواصل مع الراشدين الذين يعملون على تأطير و تنظيم التفاعل حسب ما تقتضيه الأنماط الاجتماعية و الثقافية، و ما يمليه النظام التربوي من قيم و أهداف يجب تحقيقها مما يمثل فضاء خصبا للأطفال لاستبطان المقولات السائدة و استدماجها داخل البنيات الذهنية.

ج - دور الراشد:

إن التعلم عند "فيكوتسكي" يتحقق من خلال لحظتين حاسمتين :

اللحظة الأولى:

و تمثل زمن تدخل الراشد لإطلاق شرارة التعلم الذي يعجز التلميذ عن تدشينه بمفرده، فإذا اختار الراشد الوقت المناسب و كان فعله مناسباً، فإن الطفل يتمكن من الاشتغال منفرداً بتوظيف مكتسباته.

اللحظة الثانية:

و تسمى لحظة النمو المتمثلة في تدخل السيرورات الفردية الداخلية في عملية استبطان المقولات الاجتماعية، الثقافية و المهارات و المعارف لتستوعبها داخلياً.

3. التطبيقات التربوية للسوسيوبنائية:

كان الاعتقاد سائداً بضرورة استحضار و مراعاة النضج كعامل أساس في التعلم و في بناء المناهج الدراسية، فانتصب فيكوتسكي ضد هذا الاتجاه و حاول إبراز مخاطره خاصة بالنسبة للتلاميذ المتعثرين و المتخلفين عقلياً، بل و حتى العاديين أيضاً. فهو يرى بأن المناهج الحسية - الحركية لا تساعد المتخلفين على تجاوز إعاقاتهم الفطرية بل تركزها و تقويها...و تقضي على إرهاصات التفكير المجرد عندهم من خلال الاقتصار على ما هو حسي - حركي فقط.

أما الأسوياء، فإن تعليمهم ذو مستوى متدن ما دامت القدرات و المهارات المكتسبة هي إفراز للنمو السابق، مما لا يؤهلهم للانتقال للمراحل المقبلة. و هكذا " فإن مفهوم نطاق النمو القريب المدى يمكننا من اقتراح وصفة جديدة هي: " أن التعلم الجيد هو ذلك الذي يستبق النمو " .

- تفكيك محيط تعلم الطفل إلى مجموعات متماثلة و صغيرة تشغل جماعياً للوصول إلى هدف مشترك استناداً إلى فكرة فيكو تسكي المؤكدة على أهمية التعلم التعاوني.

- الاقتناع بكون التعلم و النمو المعرفي لا يتم إلا في إطار التواصل مع الراشد و التعاون مع الأقران.

- اعتبار المتعلم محور العملية التعليمية التعلمية.

- جعل المتعلم أكثر نشاطاً وإسهاماً في بناء تعلماته و في التفاعل مع الآخر.

- تشجيع التعلم الذاتي و التعلم مدى الحياة.

- اقتصار دور المدرس على التوجيه و توفير الشروط المساعدة للتعلم، أما التعلم فهي مسؤولية المتعلم الذي يبني تعلمه عن طريق نشاطه الذاتي و تفاعله مع البيئة الفصلية.